من الحدة والوضوح دفعت عددا من المسؤولين الاسرائيليين الى التخلي عن المقولات التقليدية ، التي كانوا يطلقونها في السابق ، زاعمين ان هؤلاء العرب ليسوا الا مجرد « مواطنين اسرائيليين » ، ولا يمكن التعامل معهم اسرائيليا الا على هذا الاساس ، والاعتراف علنا ـ ولو على مضض ـ بأن اولئك «المواطنين» ليسوا ، في نهاية الامر ، الا عربا فلسطينيين ، يعتبرون انفسهم جزءا من الشعب العربي الفلسطيني ، يهتمون بمصيره ، ويفرحون لانتصاراته ، ويتألمون لاله ، ويتأثرون ، عامة ، بسير نضاله ومتطلباته وامانيه (١) ٠

وهذه النهضة القومية بين العرب في اسرائيل لم تتبلور ، او تبرز فجأة ، على كل حال ، خصوصا اذا اخذنا في الاعتبار اصولها « التاريخية » من جهة ، والظروف الموضوعية التي سادت خلال السنوات الاخيرة وساعدت على ظهورها من جهة اخرى ٠ فجذوة الشعور بالانتماء القومي بين اولئك العرب ، وان ضعفت احيانا ، لم تنطفىء ابدا ، حتى خلال فترة السنوات العشر العصيبة التي اعقبت قيام اسرائيل ، وعلى الرغم من سياسة « اليد القوية » التي سادت خلالها، على ما تبعها من فرض الاحكام العسكرية على العرب ومصادرة اراضيهم واضطهادهم ، ثم ـ وهذا هو الاكثر ايلاما وضررا ـ قطع اية صلة لهم ، وبصورة مطلقة ، مع اخوانهم الفلسطينيين المحيطين باسرائيل خاصة ، والعالم العربي عامة ٠ بل ادت هذه السياسة القمعية الى تحقيق عكس ما كانت تصبو اليه تماما ، اذ تصاعدت المعارضة العربية لها ، واشتدت يوما بعد اخر ٠ وقبل ان يمر العقد الاول على قيام اسرائيل ، كانت تلك المعارضة قد تبلورت ، في صيف سنة ١٩٥٨ ، على شكل تنظيم سياسي (« الجبهة العربية » ـ وفيما بعد ـ « الشعبية ») هدفه المعلن مقارعة سياسة السلطة تجاه العرب (٢) ٠ وعلى الرغم من ان هذه الجبهة كانت قد انشقت فيما بعد ، لاسباب لا مجال لشرحها هنا ، فان مجرد انشقاقها لم يخل من خطورة ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، اذ ادى الى نشوء تنظيم جديد ، ذي طابع قومي عروبي (« حركة الارض ») ، لم تجد السلطة وسيلة للتعامل معه ، في نهاية المطاف ، الا اصدار امر عسكري بحله وتصفيته (٣) ٠ الا ان ذلك النشاط العربي المعارض للسياسة الاسرائيلية ، عموما ، لم يذهب سدى ٠ اذ في الوقت الذي كان وزير الدفاع الاسرائيلي يصدر امره بحل « حركة الارض » ، كان هو نفسه ، بصفته رئيسا للحكومة ، يعلن عن عزمه على الغاء جهاز الحكم العسكري المفروض على العرب (وان تم الاحتفاظ بقوانينه ، للجوء اليها عند الحاجة) ، وهو ما تم تنفيذه في اواخر سنة ١٩٦٦ ، وذلك ضمن سياسة جديدة قررت الحكومة الاسرائيلية اتباعها آنذاك تجاه العرب في اسرائيل ٠ وكان جوهر تلك السياسة هو العمل على «دمج العرب في حياة الدولة » ، وذلك من خلال تشجيع العناصر « الايجابية » (اي